

## فريد المرشدي و لقاءه المتكرر مع الموت

جابر احمد



احمد بو دهمان قد وجدا في الادب الفرنسي مظاهر انسانية ابرزها " العدل والمساواة " والاعتراف بالتنوع الثقافي و " تكريس المعيار الثقافي " الا ان الادباء العرب الاهوازيين وغيرهم من ادباء ابناء القوميات ظلوا مهمشين وخلال عقودا متمادية كما انهم لم يجدوا في الادب الفارسي ما هو موجود في الادب الفرنسي .

لقد تسلى كل من الزعيم التونسي الراحل الحبيب بورقيبة والسنگالي سیدار سنجور والکمبرودي نوردم سيهانوك من سبق لهم وان ناضلوا ضد ظلم السياسة الفرنسية " بسلاح الثقافة الفرنسية اي " بمبادئ التنوير والحريات والتقدم " الا انه ومع الاسف الشديد ظل انتاج الغالبية العظمى من الادباء القوميين الفرس يتسم بالطابع العنصري والتعالوي وحقير الغير . لاسيما العرب الاسلام ويدور في حلقة التاريخ القديم المجد و المعظم لدور بلاد فارس وملوكها . ولم يرفض الغير وحسب وانما يحقره ايضا ولعل ابرز تجليات هذا النوع من الادب تجده في كتابات صادق هدايت و اخوان ثالث والكثير من ادباء الحداثة الفرس .

يقول الباحث والکاتب الاستاذ يوسف عزيزي اننا نرى وحتى الان " النظرة الاستعلانية تجاه العرب و التشدد بالماضي العتيد رائجا بين مثقفي الطبقات التحديثية و خاصة بين اصحاب النزعات القومية المتشددة. ولم يسلم من ذلك بعض المثقفين من اليساريين و الشيوعيين. ويبدو ان نهوض

اصدر القاص والروائي الاهوازي المقيم في استوكولهم عاصمة السويد، مجموعته الجديدة باللغة الفارسية تحت عنوان " الليل . النجم . وسمراء " مع عنوان فرعي " اللقاء المتكرر مع الموت " . والمجموعة من القطع المتوسط وتضم بين دفتيها قصة واحدة هي " الليل . النجم . وسمراء " مع مسرحية " المحكمة " وسيناريو لثلاثة افلام هما " اليوم الرابع " . " الجلادون " و" الوارثون " . طرح خلالهم وباسلوب القاص البارع معاناة الشعب العربي الاهوازي وخاصة في المرحلة التي اعقبت استلام السلطة من قبل رجال الدين في ايران .

شاء حظ الادباء المثقفين العرب الاهوازيين ونتيجة لضم وطنهم الى جسم الدولة الايرانية ان يكتبوا نتاجاتهم الشعرية والروائية باللغة الفارسية . ورغم انهم وفي بعض الحالات تفوقوا على اقرانهم من الادباء الفرس ، الا انهم ظلوا مهمشين تخضع انتاجهم الادبية لمقص الرقيب . وحتى في اغلب الاحيان يمنعون من التوظيف او يطردون من وظائفهم كون السلطة اعتبرتهم مشاغبين يثيرون امور تعتبرها السلطة محرمة ومنوع الاقتراب من دائرتها .

وخلافا لادباء الفرنكفونية . وخاصة في افريقيا والمغرب العربي و منطقة الشرق الاوسط وتحديدا سوريا ولبنان وحتى السعودية الذين يحضون بكل الاحترام والتقدير من قبل الحكومة الفرنسية التي منحتهم ارفع الاوسمة بسبب تفوقهم على نظائرهم من الادباء اصحاب اللغة الاصليين وهم الفرنسيين . الا انه في ايران فان ادباء " الفرنكوفارسية " اذا جاز التعبير ظلوا مقموعين وبعيدين عن دائرة الاضواء . لا بل نادرا ما تجد ادبيا اهوازيا او ادبيا من القوميات الايرانية الاخرى والذين يكتبون بالفارسية لم يدخل السجن . او حتى القتل كما هو الحال في اغتيال الاديب والقاص الاذري - التركي الايراني صمد بهرنكي الذي اغتيل من قبل سلطات الامن الايرانية في عهد الشاه .

واذا كان الروائيين الفرنكفونيين من امثال رشيد بوحدة . محمد ديب ، المرشحان لجائزة نوبل وکاتب ياسين و الاديب البير کامو المولود في الجزائر و الطاهر جارتوت و اسيا جبار و الکاتب السعودي

القوميات غير الفارسية و بروز خطابها المضاد للخطاب الشوفيني خلال الاعوام الاخيرة اخذ يحد من تأثير هذا الاخير. ليس بين مثقفي هذه القوميات فحسب بل بين المثقفين الفرس ايضا ”.

هذه الامور وغيرها جعلت الادباء العرب الاهوازيين في حرب سجالات مع المثقفين القوميين الفرس وعليه يمكن القول ان المثقفين العرب الاهوازيين يعانون من مطرقة ادباء القوميين الفرس من جهة وسندان رجال الدين من جهة اخرى . في الحقيقة انني لا اعد نفسي من الادباء العرب الاهوازيين وانما صحفي من الدرجة الثانية وحتى الثالثة . الا انني وجدت نفسي امام مسؤولية كبرى بعد ان اهداني اخي وصديقي وأبن بلدي الاستاذ فريد المرشدي مجموعته الجديدة وقد وجدت واثناء تصفحي تركيزه على الوقت . لان الحديث عنه يجرننا الى مقولتي الزمان والمكان والذين هما شكلي وجود المادة . فبدون الزمان والمكان لا معنى لاي حدث تاريخي ولا معنى لاي حياة ايضا. والزمان في قصة الليل . النجم . سمراء هو ما بين عام 1979 - 1988 . اما المكان فهو موطن النخلة العربية بلاد الاهواز وعلى وجه التحديد مدينة الحمرة والاحداث المؤلة التي شهدتها هذه المدينة في ربيع 1979 ومن ثم استيلاء رجال الدين على السلطة وما نتج عنه من تدعيات لعل اهمها ارتكاب تلك المجزرة المعروفة بمجزرة الاربعاء السوداء ومن ثم اندلاع الحرب العراقية الايرانية . التي شغلت ذاكرة الكاتب وكذلك جلبت اهتمام الادباء العرب الاهوازيين دون سواهم . حيث نجد ذلك في نتاجاتهم الشعرية والروائية والقصصية . ولعل اهم الادباء العرب الذين ابدعوا في هذا المجال الاستاذ يوسف عزيزي ومجموعته ” عيون شربت ” وقصصه القصيرة الاخرى مثل زاير بردان و ريمي وغيرها من القصص . اما استاذنا المرشدي فقد وثق وبطريقة ثاقبة وباسلوب الاديب البارع وبلغة فارسية بليغة الاحداث التي نتجت عن مجزرة الاربعاء السوداء التي شهدتها الحمرة وكذلك الحرب العراقية الايرانية . وذلك باسلوب ادبي آخاذ . فقد استحضر ضوء الشمس وذلك في السطر الاول من بدء قصته حيث قال ” اشعة الشمس الذهبية تتسلل الى باحة الغرفة من خلف النافذة الزجاجية ” وكأنه يريد ان يقول لاعداء الحرية انه اذا كان بإمكانكم حجب اشعة ضوء الشمس . بامانكم الوقوف بوجه الحرية . وكما ان الشمس ازلية وباقية فالحرية ازلية وباقية ايضا . و نجد واثناء قرائتنا لهذه القصة ان السيد المرشدي تربطه علاقة جدلية لا فكاك منها و دائمة مع الانسان و الارض والشمس . ” فألأرض شأنها شأن الانسان تنام وتستيقظ من سباتها وهي تمنح الاشجار والحضرة والحياة ولولاها لصمتت العصفير عن الرقزقة ” . كما السيد المرشدي في هذه القصة فضل الحركة على السكون فنراه من السطور الاولى لبدء قصته وهو يركض ولكن هل يركض من اجل تأمين لقمة العيش ام يركض لاجل صرف الطاقة الكامنة في جسمه نتيجة السكون . فحتى السكون او الوقوف في رواية السيد المرشدي نراه حركة فالصياد الشاب الاهوازي الواقف امام النهر والذي يصطاد السمك بواسطة صنارته هو في الحقيقة واقف الا ما يقوم به لا يختلف عن ركض السيد المرشدي فكلهما يركضان وعلى ما يبدو لتأمين لقمة العيش فقد كان النهر وعلى الدوام يمنح الحياة للانسان .

ونجد في هذه القصة وباسلوب ادبي فياض اصداء للحرب العراقية الايرانية حيث يقول ” وقع في الايام الاولى للحرب انفجار مهيب هز اركان المدينة تصاعدت على اثره اعمدة الدخان الاسود الى عنان السماء وقد وقع ذلك بعد يوم ظهر مل ومرعب . هرعت الناس على اثره تركض مذعورة في الشوارع كل منهما يسأل الاخر عن السبب . عدد من المليشيات تهول مسرعة الى المكان وهي تتأبط السلاح ولا تكثر بأئلة المارة . يريدون الوصول بسرعة الى مكان ما . حيث لا احد يعرف اين وقع الانفجار ” ” مجموعة من الاطفال و النسوة من سكان احد الازقة اختبئ في الملجأ

وهو عبارة عن حفرة حفرت في باب البيت حيث لا تتجاوز مساحتها المترين في المترين وعمقها نصف متر كما ان هناك ملجأ في الجهة المقابلة بطول ٣ متر وعرض متر وعميق متر. وكل الملجئين مهمولين ومتروكين منذ سنوات : ص ٧ و ٨ .

ومن خلال الحوار بين زوج وزجته يكشف المرشدي ان ما يطلق عليه ملجأ لا يتصف باي من صفات الملجأ وعند ما تسال الزوجة عن محل وقوع الانفجار . يعلمها انه وقع في مكان من امكنة النفع العام " عجيب هل انهم خباؤا الاسلحة والعتاد في المخازن المخصصة لخنز الحبوب " السايلو " . نعم لقد خباؤها وبعشرات الاطنان . وقد تفجرت كلها وتسببت في تدمير " السيلو " ولكن ليس هناك احصاء عن الخسائر في الاوراح . عجا لحكومتنا تخزين العتاد الحربي في مخازن الحبوب بينما الحبوب منتشرة هنا وهناك دون عناية بها . يصلون في الجامعات . اما المساجد فقد اتخذوا منها مكانا لتوزيع الحمص التمونية والتي تشمل الزيت و الرز والبيض . حقا لقد تغير كل شيء واصبح العالم راسا على عقب " ص ٨ و ٩ .

وفي مكان اخر يقول : كان يوما حزينا باردا . لا بل كانت ايام الخريف كلها اياما ملة . تكاد ان تجعل الانسان يفقد صبره - استعد الطلاب لحضور حصة اللغة الانجليزية وكانت عقارب الساعة تشير الى العاشرة صباحا وقف المعلم ازاء الصبورة . وكتب جملة باللغة الانجليزية وما انتهى من ترجمتها الى الفارسية حتى انطلقت صافرة الانذار معلنة ضجة بين التلاميذ

سيدي : صوت صفارة الانذار لنذهب الى الملجأ

لا . هذا غير ممكن لدينا حصة دراسية .

السيد مدير المدرسة سبق وان قال عندما تدق صافرة الانذار يجب على الجميع الانصراف والتوجه الى الملجأ .

لا تكثر من الكلام ايها الصبي . قلت لك عندما اقيم انا شخصا الموقف عندها سوف اسمح لكم بالانصراف لا اريد كثرة الكلام .

لقد وضع السيد المرشي النقاط على الحروف عندما اشار الى الاساليب التربوية المتخلفة التي تعمل بها المدارس الايرانية حيث لا يحق للطالب ابداء رأيه باي شيء كونه متلقي لا اكثر ولا اقل . كما لا يحق لمن هم اقل سنا الاعتراض على من هم اكبر منهم سنا . وهذا مانسمعه على لسان احد التلامذة حيث يقول :

" الاوضاع على هذا المنوال . الكبار يتخذون القرار وعلى الصغار القبول به سواء هذا القرار صادر من الاب . الاخ الاكبر او المعلم . الكبار سواء كانوا في البيت ام الشارع او المدرسة يأمرن وعلى من هم اصغر منهم سنا الاطاعة . وما جنيته من كلامي حول ذهابنا الى الملجأ ماهو الاصفعة محكمة على وجهي .

عاد على اثرها الصمت المطلق ليسطر على التلاميذ واستمر المعلم بواجبه وبينما كان يكتب الجملة الثانية على الصبورة حتى دوى فجئة صوت انفجار قوي حطم على اثره زجاج النوافذ وتطاير فوق رؤس التلاميذ وتعرض للاندل اولئك الذين كانوا جالسين الى قريبا . وترافق ذلك مع اندفاع التلاميذ والمعلم نحو الباب " ص ٩ و ١٠ وفي مكان آخر يقول " عدت في احد الليالي متأخرا الى البيت كنت في الصف الثاني او الرابع الابتدائي شاهدت والدتي وأخي الأكبر يفرزون الكتب الموجودة لدينا .

ماذا تفعلون ؟

نعزل هذه الكتب لنحرقها !

لماذا ؟ ان الكتب هي للقراءة وليس للحرق . ليس من حقكم ذلك ...

لا تكن مهذار ايها الطفل ! هيا تقدم ساعدنا لنضع هذه الكتب في الباحة حتى نحرقهما !

قالت الوالدة : لان هذه الكتب خطيرة ! عدد من هذه الكتب ممنوع !

ودون ان انفذ هذا الطلب تركت البيت دون ان انطق ببنت شفة . وعدت الى الشارع بين اصدقائي الاصغر . ص ١٠ ثم يكمل السيد المرشدي ما تبقى من الحوار شعرا من النوع الحر وفي ص ٢٢ يقول : " للنهر غروره وعظمته . للنخيل ابهة و جلال لانهاية له . غروب الساحل المجاور بيد جميلا للغاية . ورغم ذلك كان حزينا . شروقه يسحر الالباب و مفرح ويبعث على الأمل. "

اما معاناة السجين وذويه تاخذ حيزا من قصة . الليل و النجم وسمراء . وفي هذا المجال يقول :

" كانت المرة الاخيرة التي حصلت فيه شقيقته على اذن لزيارته . لأنه كان في سجن خاص . وجرى اللقاء بين الاخ وشقيقته في غرفة صغيرة . ادخلها اليه مأمور يحمل السلاح . ثم وقف في الزاوية وكأنه مثل الموت . جرت دموع الأخت على خديها . اردت ان تبكي بصوت مرتفع الان مثل الموت حال دون ذلك . بابتسامة حزينة قال بهدوء ابكي فالبكاء يزيل الهم ويهديء النفس . ولكن لا يجوز البكاء اثناء زيارة السجين . تساقطت دموع شقيقتي على خديها كتساقط حبات اللؤلؤ المتناثرة وكانها تتحدث نيابة عنها . نهران صغيران ينبعان من عينيها ويجريان على خديها الخ ... "

بساتين النخيل لها حالة بساتين مترامية الاطراف بانواع يختلف عن الاخرى . بساتين والنشاط الانساني . الانسان هو مدينة الحمرة تحتوي على وقد احترق القسم الاعظم من نتيجة الحرب وقد حدثت الشعب العربي الاهوازي و بين

يومها طه قائد المنظمة موجود مساعده هو الذي استلم مهام المنظمة في احد هذه البساتين .



وفي الصفحة ٢٣ يقول " عجيبة ساحرة . كانت مختلفة . ثمار كل نخلة النخل هي ثمرة الجهد الذي جعلها تثمر ... كانت بساتين نخيل كثيرة وواسعة هذه البساتين وسوي بالارض . المصادمات بين منظمة الحرس واللجان في احد بساتين هذه المدينة . وكان في مدينة الاهواز وان القيادة . حوصر عدد من افراد

وجرت بين الجانبين مواجهات شديدة . افراد الحرس و اللجان يفوقون عدة وعددا . كانوا مسلحين بانواع الاسلحة الثقيلة والخفيفة . في حين ان اعضاء الجناح العسكري للمنظمة لا يملكون الا اسلحة خفيفة وعدد محدود من قذائف الأربي جي ساعات قبل نشوب المعركة مالت السماء الى الاحمرار وقبلها بساتين النخيل خلدت الى النوم . لكي لا تشاهدا ما يحدث . بعد عدة ساعات من القتال قتل معظم الرجال وتم اسر الجرحى ومن بقي على قيد الحياة .

قائد الحرس ارسل من طهران لاداء هذه المهمة . الشرار يتطاير من عينيه قلبه من من الحديد الصء صاح باعلى صوته اطلقوا طلقة الرحمة على الجرحى . اما الاسرى فاعدومهم على جذوع النخيل انهم كلهم يشكلون الطابور الخامس للعدو !

صاح النخيل باعلى صوته يا اولاد الحرام يا مجهولي الاءاء . انهم ليس الطابور الخامس للعدو . ان هؤلاء عاشوا وماتوا في هذه الارض جيل بعد جيل . و اعتنوا بنا نسل بعد نسل . اننا امتلكننا قوتنا وحلاوتنا من قوة هؤلاء . عريد القائد المبعوث من طهران وقال ادفنوا القتلى بسرعة في مقابر جماعية اما الجرحى فاقضوا عليهم ! اعدمو الاحياء ليكونوا عبرة لبقية المنتفضين والمخربين !

ويستمر السيد المرشدي يسجل هذه الاحداث بكل تفاصيلها حتى يقول وعلى لسان قائد الحرس الثوري " اجزوا مهمتكم بسرعة يجب علينا نذهب !

اخترقت الطلقات المحرقة قلوب اعضاء منظمة الشعب العربي واصابت النخلة . تدفق دمها الاخضر واختلط بادم الاحمر وتبدل الى مجرى . انطبع القلب المشطور على جذع النخلة و مقارنة مع ذلك بكت السماء المحمرة دما " . ثم يعود بنا المرشدي السيد المرشدي الى السجن . فتسال الاخت اخوها قائلة :

ما ذا دهى يدك ؟

انها مكسورة يا اختي

لماذا لا يعالجونها

لا تتعجبي انها انسانيتهم !

كانت يد طه قد انكسرت من ناحية الساعد من قبل المحققين وكانوا قد ربطوها برباط الى رقبته دون ان يجبروها بالجبسين كما كل بقعة من جسمه قد احقرت باعقاب السجائرا لا انه اخفاها على اخته . ارتفع صوت المأمور الاجش وقال الزيارة قد انتهت .

ودعت الاخت اخيها عندها قال لها لا تنسي ان تقبلي سليمة نيابة عني حارس على نفسك وعلى سليمة واولادها " . ص ٢٥ وينتهي السيد المرشدي حواراه باعدام البطل المحمراوي على يد جلاوزة النظام .

لا نستطيع سرد القصة بكامل جزئيتها وتفصيلها وسنكتفي بشذارات منها يقول المرشدي في ص ٣٥ " بعد سنوات شاهدت وفي غروب خريفي . مقبض . حزين . ومكفهر في زاوية من زوايا احد الشوارع الرئيسية للمدينة امرأة شابة تنتظر وهي مضطربة . محياها حزين للغاية ومصفر الا انه بيد جميلا دون ارداء مني اخذت امعنت النظر اليها أ بعد مدة توقفت امامها سايرة فاخرة .... وفي الجهة المقابلة من الشارع شاهدت طفلة تبدو انها في التاسعة او العاشرة من العمر تجلس على الارض مفترشة الارض . امامها قطعة من ورق المقوى . كان العابرون قد القوا عليها قطع من النقود المعدنية أ الكل يمشي لسبيل حاله . الطفلة جالسة مطئنة الرأس اقتربت منها وبعد لحظات من الالم جلست امامها . شعر راسها اسود واهداب عينها عسلتان بارزت الاهداب و جميلة للغاية نظرنا الى بعضنا البعض بتمعن ابتسمت ابتسامة حزينة .

سمرء لماذا تمتهين هذا العمل ؟ . سمرء لماذا لا تذهبين الى البيت ؟ اليوم لم احصل على حتى ١٠٠ تومان كيف ارجع الى البيت ؟ سمرء ماذا يعمل والدك ؟ واين لماذا وانتهى بك العمر الى امتهان هذه المهنة .

## المحطة والمهاجر

ابونزار حمدي - هولندا

نغيش للمحطة الصبح كليوم  
ونطش اهمومنه بدرب القطارات  
ويكتار المحطة اندور اوجوه  
وتضيع اعمارنه بين المحطات  
أمس جنت بمحطة و كالي الريل  
قطار اللي تنطره يا حمد فات  
وبگيت انه بحسرتي وگلب مكسور  
واجت عالبال حسبة ومشت حسبات  
واجت حسبة وخذتني للبسييتين  
وشفت شط الرميم ولوتت العگبات  
وشفت شطنه بزمانه اليشبه الريل  
وطرايده الجميلة بليل منحدرات  
ودوانيج الشلب امعانده الراك  
لطعيمة الجبر للسوگ متعنيات  
وشفت داود ملتته عليه الناس  
ومحمد جبر يخلط بالبهارات  
وابديره طشتته امكرکش اطيور  
وگطاطين الصفر عالبردي مشچوخات  
وتمنيت الزمان ايعود ياريت  
وتعود ايامنه الچانن بسيطات  
لن يضحك عليه وگالي الريل  
قطار الفات يرجع بعد هيهات  
زمان الفات يرجع بعد هيهات  
البسييتين: مدينة صغيرة جنوب غرب الاحواز  
الريميم: قرية تابعة للبسييتين  
العگبات: قرية تابعة للبسييتين  
طعمة الجبر: تاجر رزامن في البسييتين  
داود: صاحب بقالة وعطار  
محمد جبر: صاحب محل بهارات وطيور  
ابديرة: بائعة سمك

مجبورة . لا معيل لنا . جميع الاخوات . الاخوة اي احد  
يجب ان يؤمن مصاريف حياته . سمراء اين ابيك . تقول  
امي انه قتل منذ عدة سنوات في احداث الاربعاء  
السوداء . . . ادخلت يدي الى جيبي سحبت كل ما كنت  
املكه من النقود ووضعت في راحة كفها . ثم قبلت  
وجهها وقلت لها سمراء يجب ان تذهبي الى المدرسة  
وجلسي على الرحلة وتدرسي وليس ... العار على دعاء  
الانسانية . الويل لهذه التعاسة " ص ٣٦ وينهي  
الكرشدي كلامه بقصيدة نثرية يرثي فيه حاله وحال  
سمراء الطفلة الاهوازية الصغيرة .  
بهذا القدر نكتفي لسرد وقائع هذه الحكاية على امل  
العودة لمتابعة ماتبقى منها في القريب العاجل اذا  
تسنى لنا ذلك .

